الفصل الثانى

النمو العقلى والتربية العقلية

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد

ينمو لدى الأطفال ما بين سن السادسة والسابعة قدرات عقلية معينة يسميها بياجيه بالعمليات العيانية (Concrete Operations) ويعزي إلى هذه العمليات قدرة تلاميذ المدارس الابتدائية على تكوين مفاهيم الأصناف أو الطبقات والعلاقات والأعداد وبتلك الوسيلة يتسع عالمهم التصوري بصورة كبيرة... كما أن الأطفال الذين يمكنهم أداء العمليات العيانية يمكنهم تعلم واتباع المبادئ التي تكون عن طريق الآخرين وبالتالي فإن مرحلة الطفولة الوسطى تعتبر بمثابة فترة رئيسية لتعلم الأطفال مهارات ومعلومات معينة يكونون في حاجة إليها لكي يتفاعلوا في مجتمعهم بصورة مؤثرة فعالة .

التفكير :

إدراك العلاقات: يعتمد التفكير اعتماداً جوهرياً على إدراك العلاقات ، وكل من الذاكرة والتفكير يعتمد على الترابط ولا يكون الارتباط في الذاكرة بين الحقائق واضحاً ولكن الطفل في عملية الاستدلال (Reasonig) لا يربط فحسب بين موضوعين ولكنه يدرك علاوةً على ذلك العلاقة بينهما ويستطيع الأطفال دون السابعة أن يدركوا علاقات في أبسط وأعم صورها كعلاقات الزمان والكمية والتشابه والاختلاف وما أشبه طالما المادة المستخدمة بسيطة ومألوفة وملائمة لقدرتهم القاصرة على الملاحظة ولكن الطفل لا يستطيع أن يلاحظ هذه العلاقات من تلقاء نفسه إلا بعد سنوات .

والاستدلال القياسي (Deductie Reasoning): لا يتوقف التفكير على إدراك العلاقات فحسب، بل يتوقف كذلك على إدراك العلاقات بين العلاقات وذلك هو شرط الاستدلال المنطقي ويكون الطفل في مطلع هذه المرحلة قادراً على العمليات العقلية الأولية اللازمة للاستدلال الصوري (Formal Reasoning) ويكون التطور عبارة عن اتساع مدى الموضوعات التي يمكن أن تطبق عليها هذه العمليات وتنوع تلك الموضوعات وازدياد هذه العمليات العقلية وضوحاً وإحكاماً .

ونستطيع القول أن الأطفال عموماً بين السابعة والحادية عشرة قادرون على جميع أشكال التفكير ما عدا الاستدلال العلمي وهذا يبين لنا ضرورة تعليم الطفل التفكير العلمي على أن نراعي بساطة مادته ، والبرهنة المنطقية مع مراعاة أن تكون خطوات البرهان محدودة ويجب أن نراعي فضلاً عن ذلك أن تكون النظريات العلمية المعروضة على الطفل من البساطة بحيث يستطيع أن يفهمها ولا ضير من استغلال هذه القدرة الاستدلالية الجديدة في الاستدلال الهندسي ابتداء من سن التاسعة أما عن مبدأ العلية فيمكن تقديمه للأطفال مرتبطا بدراسة الطبيعة وبالعلم الطبيعي اليومي لا مرتبطاً بالجغرافيا أو التاريخ .

والاستدلال الاستقرائي Inductive: حيث أن الاستقراء في العادة هو أقرب أنواع التفكير للواقع الملموس وجب الاهتمام به في هذه المرحلة المبكرة ولابد من تعليم الطفل تطبيقه في حياته اليومية .

النقد المنطقي: ينمو التفكير البنائي في الطفل قبل التفكير الهدمي (النقدي) ويظل الطفل إلى الحادية عشرة من عمره غافلاً عن دقائق المغالطات المنطقية في التفكير ويتصل ذلك بسمة سيكولوجية يتميز بها الطفل هي القابلية الشديدة للاستهواء **Suggestibility** .

فالطفل العادي يتقبل في سهولة مختلف الحقائق والآراء ومعظم اتجاهاته في الحياة وأفكاره عن العالم يستقيها عن هذا الطريق الذي يصفه البعض وصفاً غير دقيق بأنه تقليد، ولا ترجع قابلية الطفل للاستهواء إلى قصور في تفكيره بقدر ما ترجع إلى قصور في تنظيم معارفه، وهنالك فضلاً عن ذلك سبب انفعالي هو أنه لا يزال إلى هذه السن مأخوذاً بهيبة الكبار ذوي النفوذ في حياته ومتوهماً قدرتهم على كل شيء والقابلية للاستهواء عامل في غاية الأهمية في تربية صغار الأطفال ولكن حيث أنهم قادرون في هذه المرحلة على النقد المنطقي وجب ألا نغفل تنمية قواهم النقدية وإذكاءها حتى يتسنى للطفل أن يتعود الاعتماد على تفكيره الخاص والركون إلى مجهوده الشخصي .

وبالرغم من قولنا: أن هذه القابلية للاستهواء مرجعها إلى قصور في المعرفة المنظمة لا إلى نقص في القدرة المنطقية فيجب ألا يفوتنا أن الأطفال لا يشوقهم التفكير (الاستدلال) كثيراً وتعوزهم القدرة على التحليل المنطقي وهكذا يظل تفكيرهم حتى هذه السن في المستوى الحسي الجزئي ولذلك ينبغي ألا تنعزل مواد الدراسة بعضها عن بعض بل ينبغي أن تتناولها المدرسة في ارتباطها الوثيق بخبرة الطفل المحسوسة .

الانتباه :

نعلم أن الانتباه إلى شيء معين أو فكرة ما يتطلب قدرة على حصر النشاط الذهني في اتجاه معين مدة من الزمن ويتفاوت الأفراد فيما بينهم من حيث مدى الانتباه أي من حيث قدرتهم على استيعاب أوسع دائرة ممكنة من الأمور ومن حيث مدة الانتباه أي من حيث قدرتهم على حصر الذهن أطول وقت ممكن وغير خاف إن ذلك نشاط ذهني يتطلب قدرة على التحكم في النشاط الانفعالي وتوجيهه وجهة معينة الأمر الذي يتوقف على مدى تحرر المرء من المنبهات الخارجية المتعددة .

وطبيعي أن يكون الطفل الصغير أقل من الكبار قدرة على التحرر من تأثير المنبهات الخارجية فهو يسلك دائماً بوحي الرغبة، أو استجابة لما يدركه من منبهات خارجية ولذلك كان أقل قدرة من هؤلاء الكبار على تنظيم سلوكه ونشاطه الذهني على حد سواء، وبعبارة أخرى فالطفل أقل قدرة على الانتباه الإرادي من الطفل الكبير ومن الراشد، سواء من حيث مدى الانتباه أو مدته وتنمو هذه القدرة نمواً تدريجياً مع نمو قدرته على التنظيم العقلي والسلوكي.

فالطفل في السادسة مثلاً لا يستطيع أن يلم بمجموعة من الأفكار التي تكون كلاً واحداً ما لم تكن ضئيلة العدد وما لم تكن ذات تركيب غاية في البساطة فمن الصعب عليه مثلاً أن يستوعب أمراً مكوناً من أربعة عناصر مثل : «اذهب إلى حجرة النوم، وابحث عن حذائي، وأطفئ الأنوار ثم أغلق باب الحجرة» وغالباً ما يغفل الطفل عنصراً أو اثنين من ذلك الأمر لا لمجرد قصور في قدرته على التذكر

بل لقصور في مدى الانتباه ولذلك إن أردنا أن نلقن الطفل شيئاً وجب أن نراعي بساطة المادة وقلتها في آن واحد .

ويصعب على الطفل كذلك في سن السادسة أو السابعة أن يركز نشاطه في عمل واحد لفترة طويلة فقدرته على حصر الانتباه لا تتعدى فترة ضئيلة من الزمن فترة تطول وتقصر تبعاً لاهتمام الطفل بالعمل أو عدم اهتمامه به، فالاهتمام يعبئ الدوافع النفسية وينظمها من أجل تحقيق الغرض ومن ثمة يزيد القدرة على التحرر من كل دخيل من المنبهات الخارجية التي قد تشغل المرء عن العمل المنتج وذلك ما يحتم علينا أن نقلل فترة الدروس الشفوية في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية وأن تحور طرق التدريس بحيث تستغل نشاط التلاميذ الإيجابي وتثير اهتمامهم وتستجيب لحاجاتهم النفسية .

وفيما بين السابعة والحادية عشرة من العمر تتزايد بسرعة قدرة الطفل على الانتباه الإرادي، ولذلك يجب علينا أن نمرن الطفل عندما يبلغ هذه السن على تثبيت انتباهه بمجهود إرادي متصل وأن نعده لجد الحياة المقبلة، بتعويده التحكم أحياناً في نشاطه الذهني وتوجيهه وجهة بالذات .

ويتصل بموضوع الاهتمام موضوع آخر له أثر كبير في حياة الطفل الدراسية على وجه الخصوص، ذلك هو موضوع التعب أو الملل ونقصد بالتعب هنا التعب العقلي لا العضلي إذا كان الأطفال في هذه الفترة عرضة للتعب العضلي نظراً لإغراقهم في النشاط الجسمي فهم بعيدون حتى سن الحادية عشرة - بعداً كبيراً -

عن التعب العقلي وما يعتبره المدرس تعباً عقلياً غالباً ما يكون مللاً فالطفل سرعان ما يفقد الاهتمام بعمل ما فإذا كان عليه أن يوصل العمل على الرغم منه تعرض للملل ومن ثمة للكسل الذي يفسره البعض بأنه تعب عقلي والحق أن قدرة الطفل على مواصلة العمل لا تكون قد نفدت ولكن يكون الاهتمام هو الذي نفد .

وتتضح سرعة التعب أكثر ما تتضح في دروس الحساب والقراءة والكتابة المستمرتين ففيهما يزداد توتر عضلات العين والأصابع وهي كما نعلم عضلات دقيقة يتطلب استخدامها مجهوداً ليس بالقليل ولكن التعب في هذه الحالة يكون نتيجة تعب عضلي ويرى علماء النفس تفادياً للتعب العضلي أن نجنب الطفل طوال هذه الفترة التطويل في تمارين الجمع أو الإفاضة في مواضيع الإنشاء والإملاء أو التمادي في تمارين التذكر والتهجي .

فالإفراط في النشاط العقلي ينجم عنه ضرر جسمي واضطراب انفعالي وقد ترجع سرعة التعب العقلي إلى ضعف الصحة وإلى الحرمان من الهواء الطلق والنقص في التريض أو قلة الاستمتاع بالنشاط الحر وقبل البلوغ تلعب عوامل عقلية وانفعالية دوراً بارزاً في حالات التعب والإجهاد.

التخيل :

يمتاز الطفل إلى سن الثامنة بذاكرة بصرية حادة، ولذلك كان الجزء الأكبر من مادة تفكيره قائماً على الصور البصرية وإن كنا لا نعدم عدداً من الأطفال، ذاكرتهم البصرية ضعيفة ومن ثمة كانوا في تفكيرهم أكثر اعتماداً على الصور السمعية

واللمسية ولكن الأطفال جميعاً يتفقون في كون تفكيرهم في المستوى الحسي الذي لم يرق بعد إلى استخدام المعاني المجردة فصغار الأطفال إن عرضت لهم مشكلة يسارعون إلى حلها عن طريق العمل أي مستعينين باللمس والحركة والتصور البصري في حين أن الراشد قد يلجأ إلى رسم خطة ذهنية ثم يطبقها على المشكلة بعد ذلك وهذا ما يجعل التعلم في حياة الطفل الصغير أكثر استناداً لطريقة المحاولة والخطأ في حين أن الراشد لا يلجأ إلى المحاولة والخطأ إلا إن عجز عن الوصول إلى حل المشكلة بطريقة الفهم .

الطفل يستعين إذن في عملية التفكير باستعادة صور حسية لموضوع التفكير أي بذلك النوع من التخيل الذي يسمى التخيل الإسترجاعي (**Reproductive Imagination**) وهو مجرد استرجاع لصور الواقع ولكن ثمة نوعاً آخر من التخيل تزخر به حياة الطفل العقلية هو التخيل التركيبي (**Constructive**) أما ما يسمى أحياناً التخيل الإبداعي (**Creative**) وهو القدرة على تركيب أو إبداع صور لا توجد في الواقع (مثل أحلام اليقظة **Phantasies** الممعنة في التحرر من قيود الزمان والمكان) أو لا توجد حالياً وإن كان يمكن أن تتحقق في المستقبل (مثل تصورات المخترع الذي يؤلف بخياله بين عناصر لها أصل في الواقع ليبدع تركيباً جديداً لا وجود له) .

والتخيل في حياة الطفل قبل الخامسة تخيل إبداعي لا صلة له بواقع ماض أو حاضر إنما هو إبداع لحياة وهمية بدافع من رغباته دون ضابط ودون سعى لغير

اللذة هذا اللون من التخيل يقل في هذه الفترة الجديدة من النمو بسبب الهدوء الذي يطرأ على انفعال الطفل وبسبب كمون رغباته الفطرية وبسبب تدعم صلته بالواقع التجريبي وحلول رغبة التحكم في ذلك الواقع محل رغبة الهروب من قيوده.

والتحكم في الواقع يتطلب دراسته ومن ثمة كانت الملاحظة والتجريب عنصرين هامين في حياة الطفل العقلية في هذه الفترة ولكن إذا كان الطفل العادي قليل الانغماس في أحلام اليقظة فهو في تفكيره أو محاولته التكيف للبيئة لا يستغني عن التخيل الإبداعي ولكنه في هذه الحالة يكون تخيلاً منعكساً على المستقبل وموجهاً إلى غاية عملية أكثر منه تخيلاً مطلقاً من القيود فضلاً عن أن الطفل يسهل عليه في هذه الفترة أن يميز بين الوهم والواقع لأن مبدأ جديداً دخل حياته وأصبح عاملاً منظماً لخبراته، وموجهاً لنشاطه وذلك هو مبدأ الواقع **(Reality Principle)**.

ويجب أن نراعي في ميدان التعليم استغلال هذه القدرة الناشئة القدرة على التخيل الإبداعي، فنتيح للتلاميذ فرص استخدامه في ميدان الخبرة الواقعية في النشاط الفني والرياضي والإنتاج العملي كفلاحة البساتين، والأشغال اليدوية، الخ .. وإذا لم نزود التلاميذ بفرص إشباع الاهتمامات الجديدة، انغمسوا في أحلام اليقظة أو ارتدوا إلى مصادر اللذة الطفلية، يلوذون بها من جفاف الواقع وفقره ولا يعني ذلك تحريم الخيال الحر تحريماً كاملاً فهو كما قلنا ضروري للصحة النفسية .

الذاكرة :

يتصل الانتباه اتصالاً وثيقاً بالقدرة على الاحتفاظ بالمعلومات القديمة واسترجاعها وأن العجز عن استرجاع خبرة ما لا يكون دائماً دليلاً على ضعف الذاكرة بل إن النسيان قد يرجع إلى عوامل نفسية فقد تبين من التحليل النفسي أن المرء بطبيعته يميل إلى نسيان الخبرات التي تثير في نفسه الألم (خجلاً كان، أم شعوراً بالذنب، أو استشعاراً للنقص... الخ) والنسيان في هذه الحالة هو الكبت وقد يكون العجز راجعاً إلى قصور في القدرة على الانتباه فالدرس الذي لا يستطيع التلميذ أن يحصر انتباهه فيه يصعب عليه استرجاعه عند اللزوم .

ويعتقد البعض أن الأطفال في سن الحادية عشرة يمتازون بذاكرة آلية ممتازة إن قورنوا بالراشدين عموماً ويستند هذا الاعتقاد إلى ما يلاحظ على الأطفال حتى سن الثامنة والتاسعة من ولع خاص بالتكرار الآلي لما يحفظون دون فهم للمعنى أو اهتمام باستيعابه ولكن اختبارات الذكاء لا تؤيد ذلك الاعتقاد والحقيقة أن نشاط الحفظ الآلي لا يبرز واضحاً في هذه الفترة إلا لأن سائر الوظائف العقلية العليا (كالتفكير) لا تكون قد بلغت درجة كافية من النضج وقد أثبتت الاختبارات العقلية أن ذاكرة الطفل في سن التاسعة أو العاشرة أقل من ذاكرة الكبير ويزداد الفرق بينهما في عمليات التذكر المرجأ (Delayed Memory) التي تتطلب الاحتفاظ بالمعلومات فترة طويلة .

ويتبين من الجدولين التاليين أن مدى الذاكرة (Memory Span) يتسع مع الزمن (والجدول الأول خاص بتزايد الأرقام في تذكر الأعداد والثاني خاص بتزايد المقاطع في تذكر الجمل) .

السن	عدد الأرقام
٤	٤
٧	٥
١٠	٦

(١)

السن	عدد الأرقام
٤	٤
٧	٥
١٠	٦

(٢)

اتساع مدى الذاكرة مع الزمن

أي أن القدرة على التذكر تزداد مع العمر ، تزداد من حيث الكفاية في استيعاب أكبر عدد ممكن من العناصر ومن حيث الاحتفاظ بالمعلومات أطول مدة ممكنة ويجب ألا ننسى أن هذا النمو في التذكر يتمشى مع النمو في الانتباه .

على أن الطفل بارتفاع مستواه العقلي وبنمو قدراته العقلية العليا يكتشف في نفسه حوالي العاشرة من عمره قدرة على التذكر المنطقي ومن ثمة أصبح متلهفاً على استخدامه ويقل استخدامه للتذكر الآلي، ولذلك يجب أن تكون الأمور التي تشتمل عليها الدراسة في فترة التعليم الابتدائي ذات معنى بالنسبة له وهذا يتحقق لو كانت متصلة باهتمامات الطفل الحية وينبغي أن تكون من النوع الذي يستثير

النشاط التخيلي ويستغله في الخلق والإبداع ويجب أن يكون التعليم المدرسي تعويداً للطفل على التفكير الشخصي والعمل المستقل ، وإذا كان لا غنى عن قدر مما نسميه قدرة آلية فينبغي اعتبارها وسيلة إلى غاية وليس غاية في ذاتها ولا شك أن قيمتها تكون كبيرة أن تضمنتها تربية هدفها تنمية شخصية الطفل من جميع جوانبها أي بكل ما تتضمنه من انفعالات وخيال وتفكير .

ويجب أن تكون التربية في هذه الفترة شأنها قبل ذلك في فترة الحضانة استجابة لحاجات الطفل ويجب أن نضع ذلك نصب أعيننا حين نتصدى لوضع برامج الدراسة الابتدائية، فمن الخطأ الجسيم أن نعتبر المرحلة التعليمية الأولى مجرد إعداد للمراحل التالية وإنما يجب أن يكون همنا الأول أن نوفر للأطفال فيما بين سن السادسة والحادية عشرة كل ما يلزم سلامة نموهم ـ جسمياً وعقلياً وأخلاقياً على أساس أن الحياة إن هي إلا عملية نمو بمراحل متتابعة لكل منها خصائصه وحاجاته ولا يجوز أن يكون هم التربية الاستجابة لحاجات مرحلة غير المرحلة الراهنة من مراحل النمو .

وينبغي أن نذكر دائماً ألا جدوى من تعلم الأطفال أموراً ليست لها قيمة مباشرة لهم أياً كانت قيمة هذه الأمور في المستقبل إن غرس ما يدعوه الأستاذ هوايتهد «المعاني الساكنة» (Inert Ideas) في أذهان الأطفال عمل لا فائدة منه بل إن خطره على تكوين الأطفال أمر لا شك فيه فهذه المعاني لا تستجيب لنشاط

الطفل الطبيعي سواء أكان هذا النشاط جسمياً أو عقلياً وهي لا تفيد إيضاحاً لخبرة الطفل ولا توجيهاً لها .

وإذا كنا بصدد دراسة قدرة الطفل على التذكر وجب أن نشير إلى أن طريقتنا في التدريس واختيارنا لمنهج التعليم يصدران عن المفهوم الذي في أذهاننا عن الذاكرة، فإن كنا نعتبر الذاكرة مجرد عملية استيعاب للمعلومات استيعاباً ذهنياً كانت الدراسة مجرد حشو للأذهان وتكديس للمعلومات وكان أسلوبنا في التدريس نشاطاً من جانب المعلم وموقفاً سلبياً من جانب التلاميذ أما إن اعتبرناها القدرة على الاستفادة من خبرات الماضي ، في التكيف لمواقف الحياة الحالية بظروف الحياة عن طريق إكسابه خبرات جديدة تزيده قدرة على التكيف وتزيد خبراته السابقة وضوحاً وتهذيباً وكانت طريقة التدريس مثيرة لنشاط الطفل الإيجابي ولاهتمامه بالحياة من جميع جوانبها .

الملاحظة والإدراك :

لو عرضنا على طفل في الثالثة من عمره صورة منظر بسيط مألوف وطالبنا منه أن يذكر ما يراه فيها فسوف يعدد مختلف العناصر سوف يقول: «هذه شجرة، وهذا رجل، وهذه بنت، وهذا ولد..» ولكن الطفل نفسه في سن السادسة لا يكتفي بذكر العناصر بل يصف ما يدور في الصورة من أمور فيقول: «الشجرة كبيرة، والرجل ذو شارب مخيف، والبنت تجري٠٠الخ » وهو لا يكتفي كما كان في سن الثالثة ـ بذكر الأسماء بل يستخدم فضلاً عن ذلك أفعالاً وحروفاً ذات قيمة

كبيرة في عملية الوصف وعندما يبلغ السابعة من عمره يشير إلى الألوان وإلى العلاقات المكانية فيقول: «الرجل تحت الشجرة، الشجرة خضراء والرجل يلبس طربوشاً أحمر، البنت تجري وراء الولد.. الخ».

ولا يستطيع الطفل قبل سن الحادية عشرة أن ينظر إلى الصورة من حيث هي.. موقف عام، نظرة تربط بين العناصر جميعاً في آن واحد، فيفهم أن الصورة تمثل قصة مثلاً، أو يربط بين العناصر على أساس العلة والمعلول فيقول: «الولد يجرى لأنه خائف من أخته، أو البنت تجرى وراء أخيها لأنه خطف منها الكرة التي في يدها...». وذلك التطور في الملاحظة والإدراك دليل على تطور الذكاء عامة فضلاً عن تطور القدرات العقلية خاصة .

يتبين من اختبارات الذكاء المختلفة أن إدراك الطفل لما بين الأشياء المحسوسة من فروق أسهل من إدراكه لما بينها من أوجه الشبه، على أن إدراكه للفروق الدقيقة لا يتيسر له في بداية هذه الفترة وبالتدريج يزداد الطفل قدرة على أن يميز بين الأشياء فروقاً ، وأن يستخلص ما بينها من أوجه شبه وأخيراً ينتقل من ذلك المستوى الحسي في الإدراك إلى مستوى عقلي أي لا يصبح الإدراك تسجيلاً للواقع فحسب بل يتضمن علاوة على ذلك إدراك العلاقات المختلفة بين عناصره وتفسير الموقف على أساس العلة والمعلول .

فمن الملاحظة العملية تنشأ العمليات العقلية العليا تكون أفكار الطفل وذكرياته في بادئ الأمر غارقة في الخبرة الفعلية التي نشأت عنها هذه الأفكار

والذكريات ولكنه يستطيع ذلك بالتدريج أن يجرد الأفكار من الواقع الملموس فيدرك معنى الإنسان بعد أن كان لا يدرك غير هذا الشخص بالذات وذاك الشخص المحسوس ولكن التجريد ، أي الإدراك المعنوي لا يكتمل إلا بعد المراهقة وهو أساس التفكير النظري .

النمو الإدراكي :

يرتبط النمو الإدراكي بالنمو الحسي الحركي بصورة كبيرة ويبدو أنه يسير في مجرى مشابه له حيث نرى أن التغيرات الرئيسية في النمو الإدراكي تحدث فيما بين ٤، ٩ سنوات تقريباً مع تغييرات ضئيلة تحدث فيما بعد وإحدى جوانب النمو الإدراكي والتي تتحسن بمرور عمر الطفل الزمني هي قدرة البحث عن المثير الذي ينتظم مواقف معينة وهذا البحث والاستكشاف يصبح أكثر سرعة وأكثر تناسباً مع ازدياد العمر الزمني للطفل وتشير نتائج دراسة **Vurpillot** أن هناك اختلافات كيفية ذات دلالة في الطريقة التي ينشأ بها الإدراك لدى الأطفال الصغار والأطفال الكبار وهذه الاختلافات العمرية تتضح بصورة خاصة عندما تقارن الحالات المثيرات الإدراكية أو عندما يتعاملون مع مثيرات حركية غامضة نسبياً.

الاسترجاع :

يشير بياجيه وانهلدر أن ما يخزن في الذاكرة يمكن أن ينقل أثناء عملية الاسترجاع كما أن المادة المخزونة تعتبر بمثابة تركيب أو بناء عقلي وبالتالي فإن استدعاءات الطفل تعد المخزونة تعتبر بمثابة طريقة لظهور هذا التركيب أو البناء بواسطة العمليات العقلية المتاحة له في فترة نمو معينة وبكلمات أخرى أن المادة

يمكن أن تنظم (بعد) وليس (قبل) عملية تخزين المعلومات، وتشير دراسات Paris & Carter ، Prawatt ودراسة Jen-Kins تشير إلى أن ما تعرفه الحالة يؤثر كذلك في الذاكرة .

ويشير Tulving إلى منحى آخر لعملية الاسترجاع يرتبط بالبيئة المعرفية التي توجد أثناء عملية التعلم ويعتقد أن البيئة المعرفية توفر مجموعة من المشعرات تعين على عملية الاسترجاع فمثلاً إحدى الحيل في محاولة تذكر اسم الشخص يمكن أن يحدث عند استرجاعك للحروف الأبجدية للأسماء أي أن الأسماء التي تبدأ مع كل حرف أبجدي تعيد المشعرات التي يمكن أن تسهل عملية الاسترجاع، وبصورة مشابهة نجد ذلك في كثير من الجرائم البوليسية فمحاولة إعادة بناء الجريمة تساعد على سبر غور تذكر الشهود .

التفكر المنطقي الاستدلالي :

تعتبر القدرة على استخدام المنطق وعلى الاستدلال خاصية أساسية تميز الطفولة الوسطى وقبيل المراهقة ولتوضيح ذلك نجد أن بعض العناصر المنطقية الأساسية تتطلب تسلسلاً فإن كان:

«(أ) أكبر من (ب) ، (ب) أكبر من (ج١) إذن (أ)أكبر من (ج) وإذا حدث (أ) أو (ب) فإن (ج) سوف يحدث وبالتالي فإن حدوث (أ) يحدث إذن (ج)» .

قد يعرف الطفل في السابعة من عمره أن عشرة قروش أكبر من خمسة قروش وأن خمسة قروش أكبر من قرش واحد ومع ذلك فمن المحتمل أنه لم يتعلم بعد

القاعدة الأكثر عمومية وهي أنه إذا كان (أ) أكبر من (ب)، (ب) أكبر من (ج) فإن (أ) أكبر من (ج) وعلى ذلك فإنه لن يستطيع تعميم هذه القاعدة المتصلة بقيم النقود لتنطبق على الأشياء التي لا يألفها (حزم القش مثلاً) ولا شك أن القدرة على تطبيق القواعد المنطقية على المواقف المتنوعة هي جوهر النمو العقلي والقدرة العقلية والطفل بالطبع لا يدرك عن وعي هذه القواعد لأنه لم يتعلم ولم يتدرب على هذه القضايا المنطقية ولكن سلوكه في حل المشكلة يوحي بأنه يستخدم قواعد منطقية .

النمو اللغوي في الطفولة المتأخرة :

باتساع الأفق الاجتماعي للطفل فإنه يكتشف أن الكلام وسيلة هامة لانتماء للجماعة ويمنحه هذا الاكتشاف دافعاً قوياً لأن يتعلم أن يتكلم بدرجة أفضل كما يتعلم أيضاً أن الأشكال المشابهة من الاتصال مثل الصراخ والإشارات هي أنواع غير مقبولة اجتماعياً مما يضيف حافزاً لتحسين كلامه .

وتبدو درجة أهمية الكلام بالنسبة للانتماء الاجتماعي في حالة الأطفال العاجزين لسبب أو لآخر عن الاتصال بأعضاء جماعة الرفاق أو التخاطب كما يفعلون، فالأطفال الصم على سبيل المثال يصبحون منعزلين اجتماعياً لعدم إمكانيتهم سماع ما يقوله الآخرون وكنتيجة لذلك لا يمكنهم الاشتراك في محادثاتهم ولو أنهم تكلموا فسوف يقولون أشياء لا تمت لحديث الآخرين بصلة مما قد يثير عداوة أعضاء الجماعة لهم .

ويجد الأطفال ثنائي اللغة صعوبة في التحدث إلى الأطفال الذين يتكلمون لغة واحدة، وعندما يتحدثون فإن لهجتهم الأجنبية تخونهم في حسن التعبير وتكثر في حديثهم الأخطاء اللغوية مما يؤثر على اتجاهات المستمعين نحوهم كما يهمل الرفاق أولئك الأطفال الذين يتحدثون قليلاً لأنهم غير مسموح لهم بذلك بسبب السلطة الضاغطة المنزلية أما الأطفال الذين يشجعون على الحديث في المنزل والذين يتعلمون أن يتحدثوا عن أنشطتهم أو عن أية موضوعات أخرى ممتعة لدى زملائهم عادةً ما يكونوا ذوي شعبية بين زملائهم .

وأحد أخطر معوقات القبول الاجتماعي هو عيوب الكلام كما أن الطفل الذي يستخدم أساليب طفليه في الحديث يعد طفلاً صغيراً كما أن الطفل الذي يلثغ ينظر إليه على أنه مخنث والذي يتهمه كثير إما يغيظه الآخرون ويسخرون منه أو يضحكون عليه بسبب حديثه المضحك .

وتتحسن لغة الطفل وحديثه كثيراً بدخوله المدرسة الابتدائية وبتعلم الطفل القراءة يزداد محصوله اللغوي ويصبح على ألفه بالعبارات الصحيحة ويحدث تصحيح سريع كثير من أخطاء النطق والارتباطات الخاطئة ببعض الكلمات عن طريق المدرس، ويعاني الأطفال القادمون إلى المدرسة من بيئات فقيرة ثقافياً إذا ما قورن بالأطفال القادمين من بيئات غنية ثقافياً من عجز ظاهر متزايد في التحصيل اللغوي. أن الفقر اللغوي يسبب لهم الارتباك والتردد في أن يتكلموا في الفصل وسريعاً ما يصبحوا أكثر وعياً برأي

زملائهم ومدرسيهم غير الطيب عنهم بسبب قصورهم اللغوي ومن جهة أخرى يشعر الآباء المثقفون بأهمية الحديث ويدفعون أبنائهم لتعلم اللغة والحديث بطريقة أفضل.

وهناك عدة أمور هامة تبين أهمية الحديث للطفل ونجاحه الدراسي فالأطفال الذين يدخلون الصف الأول الابتدائي وهم أقل من متوسط الجماعة في محصولهم اللغوي كثيراً ما يعيدون نفس الصف كما أن قصورهم اللغوي يجعلهم أقل قدرة على الكتابة والقراءة وقد أكد جاريسون **Garrison** على أهمية حجم المحصول اللغوي بالنسبة للنجاح الدراسي قائلاً : «إن عدد الكلمات التي يعرفها الطفل يحدد إلى درجة كبيرة مدى تقدمه الدراسي فالكلمات هي الوسيلة التي يتعلم بها الطفل الكثير عن عالمه فإذا ما تميزت حصيلته اللغوية بالقصور الواضح تميزت تفسير لبيئته بالقصور الواضح أيضاً».

خبرة الذهاب إلى المدرسة :

يعتبر الذهاب إلى المدرسة زمنياً وسيكولوجياً نهاية عهد وبداية عهد آخر بالنسبة للصغير، فحتى سن الخامسة الصغير يتفاعل مع والديه وأشقائه أكثر مما يتعامل مع أي أحد آخر، الحق أنه قد يكون له في جيرته رفاق لعب **(Playmates)** لكن الوالدين هما من يعرف من الكبار معرفة وثيقة : هما اللذان يرسمان نمط حياته اليومية، موافقتهما هي ما يهمه وإرضاؤهما هو ما يسعى إليه ، لكن مع بداية المدرسة يتسع عالم الطفل ويصبح أكثر تعقيداً فهو يقضي وقتاً أطول بعيداً عن

البيت في صحبة أناس آخرين غير أعضاء أسرته وتصبح آراء وأحكام وأوامر هؤلاء ذات أهمية متزايدة وإن كان ليشعر نحوهم باحتياج أكبر لكنهم هم الذين أرادوا له هذا. يقول ميرفي ونيوكوم: «إن دخوله ما نسميه الفرقة الأولى بالمدرسة هو علامة تغير مفاجئ في خبرات الصغير فلأول مرة في حياة أغلب الصغار يتوقع منهم أن يتمشوا مع نمط جماعي فرضه أحد الكبار وفي عهدته صغار كثيرون جداً ليكون واعياً طوال الوقت بكل واحد منهم كفرد ، اللوحات تعرض على المجموعة كلها مرة واحدة وبسرعة البرق القصص تحكى وعلى كل واحد أن يصغى أراد أو لم يرد، ورق الرسم والأقلام توزع سواء تصادف الإحساس بالرغبة في الرسم بتلك اللحظة أم لا إن أحد هؤلاء الصغار ـ وقد وجد هذا التحول فوق ما يحتمل ـ ليبدي ملاحظته بعد أول يوم له في المدرسة بقوله: «هذا شنيع كل ما تفعله هو أن تنصاع (للأوامر وتنتبه للتعليمات) طوال اليوم »وقوله في يوم آخر: «إنها شناعة حقاً كل ما تفعله هو أن تجلس وتجلس، وتجلس».

وسواء أكانت أول مدرسة يذهب إليها الطفل هي الحضانة أو رياض الأطفال أو المدرسة الأولية التي بحكم القانون لا ينبغي أن يتخلف عن اللحاق بها الأطفال عند سن السادسة فالذهاب إلى المدرسة في نظر الصغار جميعاً معناه أنهم قد كبروا وقد كانوا يتطلعون بشوق إلى اليوم الذي يكبرون فيه ويصحبون إخوانهم وأخواتهم الكبار إلى المدرسة ويشاركون في هذه الخبرات التي يسمعون عنها من هؤلاء عما يسمى المعلم أو المعلمة والفصل والحصة بدلاً من أن يتعلقوا

بهم عند خروجهم في الصباح باكين متوسلين ليأخذوهم معهم فيتركوهم لأنهم «صغار» لكن دراسات اتجاهات الصغار نحو المدرسة قد كشفت عن أنه «بينما أغلب الصغار يدخلون المدرسة بآمال عريضة وتوقعات كبرى فالكثير جداً منهم يشعرون أنهم قد خدعوا في المدرسة قبل أن يتموا عامهم الأول بالصف الأول».

ولقد يكره بعض الأطفال الحضانة أو رياض الأطفال بعد انتظامهم فيها لكن ذلك أقل بكثير مما يحدث للصغار في كراهيتهم للمدرسة الأولية والسبب في هذا واضح : فالتغير المفاجئ في الحضانة وروضة الأطفال ليس أكبر بكثير مما هو في البيت والأسرة -رغم أن الصغار يلحقون بهما في سن أكثر تبكيراً- أما بالنسبة للمدرسة وفي السنة الأولى منها فالفرق كبير بين جو الأسرة (الوالد والوالدة والإخوة) وجو المدرسة (المعلم أو المعلمة والزملاء) الرسمي الغريب .

ويتوقف حب الصغير للمدرسة وكراهيته لها على أولى خبراته بها ، إن تشوقه للذهاب إلى المدرسة ليتبدد لو أنه عندما يدخل المدرسة يجد نفسه غير أهل لما تتوقع منه المدرسة إذ تطغى حينئذ بسرعة المخاوف ومشاعر النقص وعدم الاستعداد على السرور والابتهاج اللذين طالما حلم بهما الطفل .

ولا يقل خطراً عن عدم الاستعداد للذهاب للمدرسة الإعدادية لها بالطريقة الخاطئة فبعض الآباء رغبة منهم في تحبيب المدرسة إلى صغارهم يزينون لهم صورة المدرسة ولو على غير الحقيقة والواقع، فحين يقال للصغير الذي تركه الجميع وحيداً بالبيت إنه حين يذهب للمدرسة سوف يجد زملاء كثيرين يلعب معهم ثم

يتصادف حين يذهب ألا يحب الآخرون واللعب معه، والصغير الذي تؤكد له أمه أنها ستكون عند باب المدرسة للعودة به إلى البيت قبل موعد الانصراف ثم يتكرر تأخرها في الحضور وهو في انتظارها جائعاً تعباً كيف يحب هذه المدرسة ؟ .

إن البداية الحسنة أو براعة استهلال ذهاب الصغير للمدرسة تأتي أهميتها من أن أول خبرة بالمدرسة ـ سواء سبقها الإعداد السليم أو الخاطئ أو عدم الاستعداد أصلاً ـ تشكل كل اتجاه الصغير نحو المدرسة لسنوات قادمة والخبرة المريرة بالمدرسة تتطور إلى خشية (dread) تتزايد عاماً بعد آخر حتى يجئ الوقت الذي يثور فيه الشاب على والديه طالباً عدم الذهاب لهذه المدرسة ويضطر هؤلاء لإخراجه منها .

من ناحية أخرى يتوقف تكيف الصغار بالمدرسة على الطريقة التي تستقبلهم بها أول أيام التحاقهم بالفرقة الأولى منها فنظام المدرسة وشخصية المدرسين بصرف النظر عن المعدات المادية لحجرات الدراسة والمواد الدراسية أو جداول الحصص والكتب المقررة... الخ هي التي ستهيئ الجو النفسي الاجتماعي اللازم لتوافق الصغير بالمدرسة وحبه لها وبالتالي نمو شخصيته في المدى البعيد ونجاحه التحصيلي في المدى القريب، والعلاقات التي تخلق هذا الجو الصحي العقلي أو المرضي اللاتوافقي فيما بين المعلم والتلميذ والصغير وزملاء الدراسة هي التي ستحدد للمستقبل ما إذا كانت المدرسة تخرج المواطن الصالح أم الحدث المنحرف.

مؤشرات الأهبة للتكيف المدرسي :

قلنا: أن خبرة الذهاب إلى المدرسة نقلة كبرى من بيئة البيت إلى بيئة غريبة مختلفة تماماً ومعنى هذا ضرورة التوافق مع أناس ومواقف وأحوال سلوك جديدة على الصغير ولا عهد له بها بعد فهل من سبيل لمعرفة متطلبات هذا التوافق قبل سن الدخول للمدرسة للإعداد لها حتى يمر الطفل بخبرتها أكثر سهولة ويسراً ؟ وما هي الخبرات قبل المدرسية التي تيسر نجاح التوافق في الصف الأول من المدرسة الأولية ؟

أثبتت البحوث التي استخدمت قياسات إنسانية لهيئة الجسم (physique) أن التلاميذ الذين يرسبون بالصف الأول أقل نضجاً جسمياً من جماعة الناجحين بالصف كما سبق القول (سيمون) فالنضج الجسمي يبدو أنه يتصل بالأهبة للمدرسة (Readiness school) .

إن القدرة على إيجاد توافقات بمواقف جديدة يتوقف في جزء منها على الذكاء لكن أهم من ذلك خبرات الصغير السابقة في توافقاته فإلى أن تكون قد استقرت عادات سلوكه الأساسية فيزيولوجياً وحركياً واجتماعياً ينبغي لبيئة الصغير أن تظل من الثبات وعدم التغير قدر الإمكان وأي تغير ولو طفيف عرضة لأن يقلب رأساً على عقب الطفل دون الثالثة أما منذ تلك السن فإن تنويعات الروتين إن لم تكن كبيرة جداً مفيدة أكثر منها ضارة لأنها تساعد الصغير على القيام بتوافقات بالظروف المتغيرة التي سوف يتعلم عاجلاً أو آجلاً التعود عليها.

كذلك فكل توافق بأشخاص ومواقف جديدة يصبحه قدر معين من التوتر الانفعالي والكبار أنفسهم في مواجهة المواقف الجديدة أو القيام بأدوار لم يتدربوا عليها كتسلم الوظيفة والانفعال لبلد آخر أو السكن بحي جديد من جيران جدد والزواج كعشرة شريك الحياة... يعانون الشد الانفعالي ويلزمهم الوقت الكافي للتوافق هذا الذي هو أصعب في حالة الطفل بالنظر لقلة خبراته حيث يتبدى توتره الانفعالي الحاد بمختلف الطرق التي أكثرها شيوعاً قابلية الإثارة عموماً(general irritability)، الميل للصراخ من غير سبب ظاهر ، فقدان الشهية،صعوبات النوم، القيء، نقصان الوزن، اضطرابات الكلام: مضغاً (slurring) وتهتهة وتمتمة .

ولفحص الأهمية للمدرسة والتكيف بالصف الأول أجرى مدينوس Medinnus سلسلة اختبارات على جماعة من الصغار سن خمس سنوات في السنة السابقة على التحاقهم بالمدرسة كما أجرى مقابلات مع أمهاتهم وقام بمقاييس مدرجة للأجواء النفسية لبيوتهم وحصل من الوالدين كليهما على ملء استخبار اتجاهات الوالدين ولدى إنهاء الصغار للسنة الأولى الدراسية ربط درجاتهم التي حصلوا عليها بمحكات تحصيل مختلفة بدرجاتهم في أحد اختبارات المهارات المدرسية، كذلك ربط تقديرات المعلمين للتكيف العام في الصف الأول بالدرجات المتحصلة عن قياس جو البيت السيكولوجي .

والذي توصل إليه الباحث من كل هذا : ارتباط معقول بحوالي ٥٠ , ٠ إيجابي بين درجات نسبة ذكاء الصغار في اختيار «استانفورد بنيه» المطبق قبل دخول المدرسة ودرجات تحصيلهم في نهاية السنة الأولى لذا فالذكاء مهم للناجح بالسنة الأولى الدراسية ومع ذلك فإن عوامل مثل الدافعية (otivation) والميل أو الاهتمام (interest) والاجتهاد في العمل المدرسي ثبت أن لها شأنها أيضاً ولاحظ «ميدينوس» كذلك أن كمية المعلومات التي في حوزة الصغير قبل دخوله المدرسة تنبئ بتحصيله القرائي عند نهاية السنة الأولى .

فكتهيئة مبكرة للطفل للذهاب إلى المدرسة ينبغي للوالدين منذ يدرج الطفل أن يكف عن جعل البيت بيئة تحقيق كل مطالب الطفل وتنفيذ رغباته فهو حين يذهب إلى المدرسة لن يستطيع المعلم أو المعلمة جعل حجرة الدراسة تتكيف برغباته ومطالبه بل سيطلب منه هو أن يتكيف بها وسيتوقع المعلم منه أن يتوافق معه ومع زملائه بعد أن كان هو الذي يتوقع مع والديه وأخوته هذا التوافق معه وعموماً فأهم إعداد للصغير تدريبه على أن يتكيف بمواقف وأشخاص آخرين لم يألفهم من قبل وكلما كان هذا الإعداد مبكراً كان أفضل ويتم ذلك فعلاً بالحضانات ورياض الأطفال قبل المدرسة الرسمية الابتدائية .

أما مجالات التوافق بالمدرسة التي ينبغي إعداد الطفل لها قبل الأوان فمنها ما هو عملي ومنها ما هو اجتماعي وعقلي وأخلاقي، فلكي يتوافق الصغير بسهولة مع المدرسة ينبغي أن يكون قد تم له تعلم المهارات اللازمة للاعتماد على نفسه وخدمة

متطلبات حياته من النشاط واللعب بحرية واستقلال كذلك أن يتوافق بسهولة مع الآخرين الذين لم يألفهم من قبل ويتخذ منهم بدائل للأبوين والإخوة في الأسرة ، وأن يتعود الجمع بين فرديته وأنانيته وتركزه حول ذاته وبين التعاون مع الآخرين وأداء الخدمات لهم ومساعدتهم وأن يخضع للنظام المدرسي بما تعود عليه من خضوع للنظام في البيت وأن يركز انتباهه واهتمامه بما يعرض عليه من مسائل ويحفظ ما تلقاه من أغاني وأناشيد وحكايات ويحسن العد والهجاء وأهم من هذا - كقدرة عقلية لازمة للمدرسة - تعويده في البيت وقبل المدرسة على الاستنتاج والتفكير reasoning واتخاذ قرارات تتصل بالمواقف والناس والأشياء.. وأخيراً الاستعداد للقراءة .

أبعاد ارتفاع وانخفاض التحصيل :

أجريت أبحاث كثيرة على مدى سنوات طويلة في محاولة لإبراز خصائص التلميذ التي هي - إلى جانب قابلية التغير(variability) والذكاء والمستوى الاقتصادي والاجتماعي والجماعة العنصرية أو الطائفية وخصائص الوالدين - أبعاد التحصيل الدراسي والنجاح المدرسي.. فكف وفنك Cough & Fink بعد سلسلة دراسات استخدما فيها قياسات موضوعية للشخصية يصفان الشخص المرتفع التحصيل (high achiever) بأنه الشخص الذي يستطيع بسرعة تبويب معلوماته أي يحللها إلى مختصر منظم يسهل عليه تذكره ، إنه الشخص الذي لديه دافع قوي لتنظيم عالمه والربط باستمرار فيما بين المعلومات فهو شخص كفئ

القليل من طاقته هو الذي ينصرف إلى تفجرات لا تنتج شيئاً « فالنمط هو نمط الفاعلية الشخصية مقترنة بالسرعة والمثابرة والتحفظ ليس نمط الابتكار أو التجديد بل نمط التكيف البناء بعالم ظروف المرء فيه متواضعة ومصيره فيه محدود ».

المعلم وجو الدراسة :

سبقت الإشارة لهذا الشخص، رجلاً أو امرأة الذي يفاجأ به الطفل لدى دخوله المدرسة كأول راشد في عالم الكبار الخارجي عن الأسرة يتعامل مع الصغير كبديل عن الأب أو الأم وبسلطات رسمية أكبر منهما والذي يشرئب ويرفع قامته ليتطلع إليه في استغراق وخوف ما لم يتلقفه هذا أو هذه بالحب والحنان ويطمئنه على مستقبل حياته معه معظم اليوم إن هذا الشخص هو الذي بيده استمرارية التوافقات المنزلية الطفولية في توافق مدرسي ناجح أو فاشل بعد أن حل محل الوالد في قيادة نمو الشخصية لدى الصغار ولكونه يزاول من غير شك أبرز الأثر السيكولوجي عليهم فالمعدات المادية للمدرسة والمواد الدراسية وجدول الدراسة اليومي أو الأسبوعي كلها تتضاءل إلى جانب وقع المعلم على التلميذ في توافقه بالمدرسة نمو شخصيته وتحصيله الدراسي. التشجيع والاهتمام من جانب المعلم يحددان اختياره للمهنة والتخصص أو قراره بشأن إحدى القيم وإن ثانوية دور المعلم بعد دور الأب أو الأم ليجعل شغله لهذا الدور باهظ التكاليف في أثره على الطفل أو قد لا يأتي بتكاليفه إذا لم يملأ هذا الدور بأحسن وأكفأ البشر إنه أكثر من

الطبيب والمحامي والصحفي والممثل الذي يستطيع أن يلهم قادة الغد الجيل الجديد ومن خلال هؤلاء الصغار يؤثر في عالم المستقبل .

إن الآباء والمعلمين كليهما - في ظل النظم التربوية الحديثة - مهمتهما رفاهية الصغير السيكولوجية والانفعالية كلاهما قيد على السلوك وكلاهما في وضع فرض المعايير والمقننات على هذا السلوك ويزيد دور المعلم على دور الأب (في مسئوليته عن رفاهية الطفل الجسمية والعاطفية خارج المدرسة) واجبه في إثارة وقيادة نمو الطفل العقلي بما له بحكم طبيعة الموقف المدرسي من تأثير بالغ في تحديد قيم الصغير واتجاهاته فكيف يتم إذن هذا التأثير ؟

من الطبيعي أن قيم المعلم واتجاهاته تتناقل للتلميذ بطريق مباشر من خلال القواعد والمناقشات والتفسيرات أو التعليمات والأوامر وأقل أهمية أحياناً ما (يقوله) المدرس بالقياس إلى (ما يفعله) فالمدرس يؤدي وظيفة القدوة أو المثال النموذجي **(model)** للصغار إنهم يتمثلونه ويحاكونه ويحاولون الانطباع به مالا يقره يتجنبه الصغار وما يستحسنه يأخذون به ولقد يحدث لبعض الآباء أن يفاجئوا في السنة الأولى لإلحاق صغارهم بالمدرسة بقول أحدهم إنني أحب معلمي (أو قابلتي) أكثر من أي أحد آخر سواه أو برد الآخر على توجيه أو تعليم : لا المعلم لم يقل هذا بل قال كذا وكذا وفي السنة الثالثة الدراسية يألف الصغير تسمية معلمته «بالأم» كما في سن المراهقة يعتبر الشاب مدرسه الذي يعجب به «الأب» الروحي وإن اتجاهات الصغار للتحول عن آبائهم أو تمتد لمعلميهم الذين

يحلون محلهم في قلوبهم في حالات غياب أحدهم بالوفاة أو الإهمال والتخلي مادياً ونفسياً لأسباب مختلفة كثيرة وأخيراً ففي المراهقة قد تكون علاقة أحد الشبان بمعلمه علاقة « عبادة البطل (**hero worship**)» .

لكن وظائف المعلم الروحية النفسية والاجتماعية يحد منها تكيفه أساساً بالتعليم الدراسي أي التدريس فهو لم يطلب منه أن يكون طبيباً معالجاً ولا أخصائياً نفسياً أو اجتماعياً بل ولا مرشداً نفسياً ومهنياً وهنا فإن بيده أن يخلق الجو الصحي العقلي في حجرة الدراسة بما لا يعقد مشاكل التلاميذ بدلاً من تخفيفها وحلها وإذ هو لن يتمكن من رعاية كل حالة فردية من عشرات الحالات الموجودة أمامه في كل فرقة دراسية في غمرة اشتغاله بتدريس مادة تخصصه التي ربما لا مجال فيها للإنسانيات فلا أقل من أن يخلق هذا الجو الصحي الملازم لنمو اتجاهات الناشئين وشخصياتهم في المدى الطويل .

ونعني بالجو(**climate, atmosphere**) - والتي استعيرت من العلوم الطبيعية إلى العلوم الإنسانية- العلاقات النفسية الاجتماعية التي تنشأ بين أفراد الجماعة في تنظيم أو نسق اجتماعي ما هو هنا الصف الدراسي والمعلم هو المنوط به خلق الجو الصحي المنشود في حجرة الدراسة لأنه الذي يبني العلاقات التفاعلية بينه وبين التلاميذ وبين هؤلاء وبعضهم البعض لقد أثبتت دراسة مبكرة «لأندرسون» لاحظ فيها وسجل التفاعل بين المعلم والتلاميذ أن المعلمين يتفاوتون في السيطرة على سلوك حجرة الدراسة وتكامله ففي علاقات المدرسين

بأفراد التلاميذ كان لاثنين منهم من علاقات حكم الصف ضعف ما لهم من علاقات التكامل بينما الثالث سجل من علاقات السيطرة خمسة أمثال علاقات التكامل وفي السلوك تجاه الصف بكامله ظهر الطابع الإشرافي المسيطر عند الثلاثة المعلمين بنسبة ٥ : ١ في مقارنته بالتكامل أما لدى التلاميذ فقد كان ثمة فروق فردية شاسعة في مدى وطبيعة اتصالاتهم بالمعلمين.

فكما لدى الوالد في الأسرة حيث تنطبع شخصية الأب على البيت لتخلق فيه الديمقراطية أو التسلطية أو التسامحية يطبع المعلم بشخصيته التي هي الأقرب لأي من هذه الثلاثة جو حجرة الدرس «والمدرسون الذين يخلقون أجواء اجتماعية إيجابية في الصف تشغلهم مفاهيم الصحة النفسية وديناميات الشخصية إنهم يشعرون بمسئوليتهم عن نمو وارتقاء شخصيات المدرسين لديهم اليقظة والحساسية بقدر ما يهمهم تقدمهم الدراسي وتعلمهم ومثل هؤلاء المدرسين لديهم اليقظة والحساسية بقلق تلاميذهم وفكرتهم الذاتية وعلاقاتهم بالرفاق واتجاهاتهم نحو المدرسة».

وفي دراسة أخرى لجو حجرة الدراسة الاجتماعي والانفعالي اندرج سلوك المعلم تحت سبعة أصناف ستة منها تدخل في طائفة التمركز حول المتعلم (learner centered) والتمركز حول المعلم(teacher-centered) وجاءت أنواع سلوك مركزية المتعلم في ثلاثة أنواع :

- عبارات تؤيد المتعلم فتطمئنه أو تثني عليه وتمدحه .

- عبارات تقبل الطفل وتنويره التي تساعده على تقنية أفكاره ومشاعره وتهبه الإحساس بأنه مفهوم .
- عبارات أو أسئلة عن تركيب مشاكل تمده بالمعلومات أو تثير أسئلة عن إحدى المشاكل بقصد تيسير حلها .

كذلك فقد كان ضروب سلوك مركزية المعلم ثلاثة أنواع :

- عبارات توجيهية (directive)ترسم الخطوط العريضة لسير العمل الموصي به كي يتبعه التلميذ .
- عبارات تأنيب أو استنكار(reproving or deprecatory) الغرض منها ردع التلاميذ عن السلوك غير المرغوب فيه .
- عبارات مساندة الذات(self - supporting) المقصود بها تبرير أو إساغة وضع المعلم وأفعاله .

وأظهرت دراسة لاحقة لنفس الباحث أجراها على أربعة فصول الصف السابع الدراسي فروقاً ملحوظة في جو هذه الفصول تحت قيادة مدرسيها الأربعة «فمن يوم ليوم كان ثمة قدر معقول من الثبات في أي من هذه الصفوف وبرغم المعلومات المتناثرة نوعاً ما عن آثار مختلف أجواء حجرات الدراسة على التوافق الانفعالي والإنجازات الدراسية للتلاميذ فأنواع معينة من العلاقات السيكولوجية بين المعلم والصغار هي أكثر توصيلاً من غيرها لصالح النمو الانفعالي والعقلي للصغار في الوضع الدراسي».

	تسلطي	تسامحي	ديمقراطي
التربية	أقل عناية بالتفسير أو الإيضاح فالصغير يتوقع منه قبول القواعد بلا مناقشة لأن الوالد يعرف أكثر منه .	قواعد قليلة للسير عليها مع القليل من التوجيه أو الإيضاح.	التأكيد أساساً على إيضاح معنى القواعد وتكرارها إلى أن يتعلمها الصغير .
الثواب	يتفادى خشية تدليل الطفل .	يتوقع من الصغير استخلاص الرضا من الاستحسان الاجتماعي الذي يجلبه له سلوكه .	الثناء يوهب بغير حساب Lavishly جزاءً على السلوك الصحيح والمحاولات من جانب الصغير أن يفعل ما يعرف أنه يتوقع منه إثباتات أخرى تعطي على تكرار السلوك الصحيح .
العقاب	التمسك بالعقاب البدني على سوء السلوك ولا محاولة لتبين ما إذا كان سوء السلوك مقصوداً أم لا.	يتعلم من عواقب فعله أنه قد ارتكب خطأ بهذا الفعل .	العقاب قاصر على سوء السلوك المتعمد، الصغير يعطى الفرصة ليوضح سبب إساءة السلوك قبل أن يعاقب العقاب البدني قلما يلجأ إليه وبدلاً من العقاب المتصل بسوء السلوك.

obeikandl.com

الطفل الموهوب

الموهبة :

معناها اللغوي كما ورد في المعاجم العربية أخذ من الفعل (وهب) أي أعطى شيئاً مجاناً، فالموهبة إذن هي العطية للشيء بلا مقابل ٠

أما كلمة موهوب في اللغة فقد أتت أيضاً من الأصل (وهب) فهو إذن الإنسان الذي يعطى أو يمنح شيئاً بلا عوض٠

أما المعنى الاصطلاحي لهذا المفهوم فكان أول من استخدامه وتحدث عن الموهبة والعبقرية والتفوق العقلي فهو «ثيرمان» حيث قام بدراسته المشهورة عن الموهوبين ثم تلته الباحثة (لينا هونجروت)، والتي عرفت الطفل الموهوب: بأنه ذلك الطفل الذي يتكلم بقدرة وسرعة تفوق بقية الأطفال في كافة المجالات فالموهبة إذن استخدمت لتدل على مستوى عال من القدرة على التفكير والأداء ، وقد ظهرت اختلافات بين الباحثين حول الحد الفاصل بين الموهوب والعادي من الأطفال من حيث الذكاء ، فقد بلغ هذا الحد عند ثيرمان١٤٠ فأكثر وعند هو «نجورت » (١٣٠) فاكثر حين نجده عند «تراكسلر» وصل إلى (١٢٠) فأكثر٠

قياس وتشخيص الموهوبين

هناك طرق عديدة يمكن الإفادة منها فى عمليات قياس وتشخيص الموهوبين منها :

١- ملاحظة العمليات الذهنية التى يستخدمها الفرد فى تعلم أى موضوع أو خبرة فى داخل غرفة الصف أو خارجها .

٢- ملاحظة أداء الفرد أو نتائج تعلمه فى موضوع دراسي أو أي محتوى يعرض له أثناء التعلم الصفي ، أو الصور التى يعرضها فى سلوك حل المشكلة .

٣- استخدام المقاييس النفسية مثل اختبارات الذكاء ، واختبارات التحصيل، ومقاييس الإبداع .

٤- تقارير الأشخاص عن أنفسهم ، أو تقارير الآخرين عنهم ، مثل تقارير المعلمين والآباء والأمهات والزملاء ، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة الإفادة من أى بيانات قد تساعد فى تحديد من هو الموهوب ، وقد تعطينا دلالات واضحة على التكامل القوى المتسارع لوظائف الدماغ .

ونلاحظ نوعاً من التنافر بين الأشخاص الذين يتصفون بمستوى عال من الموهوبة والأشخاص العاديين، وبخاصة فى طبيعة إدراكهم لما يتعلق بطبيعة إدراكهم لأنشطة الحياة المختلفة وما تنطوى عليه من معان وآفاق. وبرغم هذا التنافر يستطيع الموهوبين التكيف مع متطلبات الحياة المعاصرة بصورة أفضل من الأفراد العاديين فى البيئات المختلفة التى يعيشون فيها.

وقد يختار الموهوب العزلة، ويركز جهوده الذهنية والجسدية على أنشطة ومهمات فردية، كما نلاحظ اهتمام الموهوبين بقضايا ومسائل متعلقة بظواهر غريبة، ويتصف هؤلاء الأشخاص بعزوفهم عن الظهور الاجتماعي وحب الشهرة. وفى الوقت الذى نعترف فيه أن الموهوبين جزء من طاقات الأمة الكامنة نجد أن أنظمة التربية والتعليم فى دول العالم الثالث بعامة والدول العربية بخاصة كي تقم حتى الساعة بتوفير البرامج التربوية القادرة على تلبية احتياجات الطلبة الموهوبين. وتؤكد البحوث والدراسات أن تلبية هذه الاحتياجات يتحقق باعتماد أسلوب التعليم الفردي الذي يتم باستخدام الخطة التربوية الفردية، والخطة التعليمية الفردية، واعتماد أسلوب تحليل المهمات.

ويساعد فهمنا للفروق الفردية فى تعميق فهمنا لماهية الموهوبين، فتباين القدرات بين الأفراد يظهر فى تباين مستوى الذكاء لديهم وفى تباين قدراتهم على حل ما يعترضهم من مشكلات وعقبات .

والموهوبين لا تعنى بالضرورة الموهوب فى كل المجالات الحياتية. ودعنا نقوم بتصوير ذلك من خلال المثال التالى: تصور أن شخصاً قام برحلة تبعد عن مكان وجوده المعتاد أربعين ميلاً، فى حين أن شخصاً آخر قام برحلة تبعد ستين ميلاً، فهل نستطيع فى هذا السياق التمييز بينهما على أساس أن أحدهم متفوق على الآخر؟ الجواب: استناداً إلى هذا المعيار فقط، بطبيعة الحال لا، حيث أن

كل شخص منهما سيشاهد أشياء مختلفة عن الأشياء التى شاهدها الآخر، وسيمر كل واحد منهما بتجارب تختلف عن تجارب الآخر .

واستناداً إلى ما تقدم يمكننا أن نقول أن الشخص الموهوب يطور أداءات تتميز بفروقات معينة عن أداءات الأشخاص العاديين من خلال المقارنة بين أداءات المجموعتين والتى يتطلبها القيام بمهمات تنطوى على إحداث علاقات معقدة .

obeikandl.com

نصائح للآباء والمربين

يجب على الوالدين والمربين رعاية أولادهم للارتفاع بمستواهم العقلى والمعرفى والدراسى في مرحلة ما قبل سن البلوغ وذلك بالوسائل الآتية :

١- أن دور المربى امتداد لدور الأب وأن الروح المدرسية العامة التى لا تقتصر على تعلم المهارات الأساسية فى القراءة والكتابة والحساب ومبدأ الثواب والعقاب إنما تمتد إلى تنمية الشخصية وتقويم السلوك وتعزيز الميول العلمية والفنية والأدبية وتحديد العلاقات الاجتماعية وتعلم أهمية الحقوق والواجبات .

٢- إن دور المدرسة الحديثة كمؤسسة تربوية يهدف فى المكان الأول إلى توسيع مدارك الطفل وترويض خياله بسرد القصص والرسومات منذ مرحلة الحضانة حتى مرحلة الطفولة المتأخرة حيث تستعمل القصص فى بلورة مفاهيم أخلاقية وتربوية بأسلوب غير مباشر ترسخ فى عقله ووجدانه وتخاطب عواطفه وحسه الداخلى .

٣- إن القضية الأساسية والمحور الأول فى أسلوب التربية يتميز بإثارة غريزة فضول الطفل بالأسئلة... لماذا؟ وماذا؟ ومتى؟ وكيف؟... حتى لا يتوقف نمو الطفل العقلى وطموحه النفسى .

٤- إن دور المدرسة ينبغى أن يوافق فى الملاءمة بين اللعب والتمثيل واستخدام الوسائل والمعدات بصورة تثرى شخصية الطفل وتساعد على نضجها فى المراحل الأولى من الحياة.

٥- تعريف الولد بطرق الاستذكار الجيد ووسائل إشباع الحفظ وتزويده بأشرطة تعليمية بأصوات المعلمين من أصحاب الكفاءة والتميز .

٦- تشجيعه على المشاركة في النشاطات المدرسية كالتمثيل والخطابة والكشافة وغيرها.

٧- حثه على حسن الإنصات للمعلم والتعامل مع أقرانه بحسن الخلق .

٨- متابعة كراساته وواجباته اليومية في حلم وأناة ودون تضخيم للهفوات أو تصحيح للأخطاء أمام أخوته ولا ننسى المكافأة على الإنجازات حتى ولو كانت قليلة لرفع معنوياته وزيادة ثقته بنفسه .

٩- زيارة الوالد لمعلم ولده في مدرسته وللمحفظ في مكتب التحفيظ وذلك بشكل دوري .

١٠- معاونته على تنظيم أوقاته وتقسيم وقت الاستذكار بين مختلف المواد .

١١- مساعدته على اختيار المكان المناسب للاستذكار بعيداً عن عوامل تشتيت الانتباه .

١٢- على الوالدين مساعدة ولدهما باستخدام الأسلوب القصصي الشائق والصور المحسوسة عند شرح الموضوعات الدراسية أما الشرح النظري المجرد فلا يصلح إلا مع من قارب البلوغ .

١٣- إشعاره بأهمية التفوق الدراسي وتحبيبه في الاجتهاد في طلب العلم باعتباره فريضة شرعية وأنه القيمة الأولى في منظومة القيم الإسلامية بدليل أن أول

ما نزل من القرآن الكريم كلمة«اقرأ» في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١]

وتحفيظه حديث رسول الله ﷺ: « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة» (مسلم) وتعريفه بأنه لولا العلم ما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم لأن الملائكة لا تحتاج إلى العلم بل المحتاج إليه هو الإنسان بوصفه خليفة الله في الأرض (كتاب الإيمان لابن تيميه).

١٤- تدريبه على شرح الدرس أو الموضوع الذي يلقنه لأخوته الصغار أو للضعاف من زملائه وتعريفه بأن زكاة العلم أن يعلم غيره مما علمه الله وتحفيظه حديث رسول الله ﷺ : «من كتم علماً عن أهله ألجم يوم القيامة لجاماً من نار» (رواه ابن حبان والحكم) .

١٥- حسن استقبال الوالدين للطفل عند عودته من المدرسة والاستماع إلى ما يقصه عليهما مما سمعه أو رآه ويستحب أن يكون ذلك على الغذاء وأن يصححا ما عنده من سوء فهم لبعض الأمور .

١٦- اهتمام الوالدين بالمادة الدراسية التي لا تنال حقها من الرعاية في المدرسة : لصعوبتها أو لعدم تمكن المعلم منها أو لأن درجتها لا تحتسب في المجموع بالرغم من أهميتها كالتربية الإسلامية والمجالات المهنية وغيرها أو لأن درجاتها في المجموع العام أصغر من غيرها بالرغم من أهميتها كاللغة العربية والتاريخ الإسلامي وغيرهما.

١٧- بعد سن العاشرة تنمو لدى الولد القدرة على التفكير النظري المجرد لذلك يجب على الوالدين مساعدة الصغير بالأمثلة وغيرها لتقريب المعاني المجردة إلى ذهنه .

١٨- في حوالي سن العاشرة يظهر ميل الولد إلى نقد الآخرين وعدم التسليم بآرائهم إلا بعد تمحيصها هذا بالإضافة إلى محاولته إثبات وجوده عن طريق توجيه النقد إلى الكبار من حوله فعلى الوالدين استثمار هذا الميل في تنمية قدرته على الابتكار والإبداع وتدريبه على النقد الموضوعي والتفوق العلمي مع عدم الإكثار من لومه وتعنيفه أمام أخوته لشدة حساسيته في هذه المرحلة.

١٩- في حوالي سن العاشرة تتضح القدرات الخاصة أكثر من ذي قبل ، لذلك يجب معاونته على التعرف على مواهبه وإمكاناته الرياضية أو المهنية أو النظرية الأكاديمية أو غيرها وتبصيره بكيفية تنميتها وعلى الوالدين عدم تحقير أي من هذه المجالات .

٢٠- تشجيع الوالدين لولدهما على توسيع دائرة اطلاعه فلا يكتفي بما جاء في الكتاب المقرر وتحفيظه قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ١١٤] .

٢١- تدريبه على تطبيق جوانب المادة الدراسية النظرية في حياته اليومية ، فالإسلام يهتم بالعلم والعمل معاً كما يهتم بأن يكون العلم نافعاً والعمل موافقاً للكتاب والسنة وقد كان النبي ﷺ يستعيذ بالله تعالى من علم لا ينفع.

٢٢- تدريبه على ربط جوانب النظرية بالتجربة العملية المحسوسة وقد أشار القرآن الكريم إلى دور التجربة العملية في ترسيخ اليقين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة:٢٦٠] فبالرغم من أن إبراهيم عليه السلام كان مؤمناً إلا أنه اشتاق إلى أن يرى تجربة عملية محسوسة لما في ذلك من زيادة في اطمئنان العقل وقد استجاب الله تعالى لإبراهيم عليه السلام وكلفه بأن يقوم بالتجربة العملية فيذبح بعض الطيور ويوزع أعضاءها في عدة أماكن ثم يدعوها إليه فتجيئه سعياً وقد ردت إليها الحياة بقدرة الله وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة:٢٦١].

٢٣- تشجيعه على ربط المواد الدراسية بالحس الإسلامي وتدبر عظمة الخالق جل شأنه وتعريفه بأن المنهج الإسلامي لا يكتفي بالملاحظة الحسية والتجربة كما يحدث في بلاد العرب بل يضيف إليهما التأمل في عظمة الخالق وتدبر دقة صنعه وحسن تدبيره في مثل قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[الذريات:٢١] وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً﴾ [عبس:٢٥] وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الروم:٩] وغيرها مما يثبت أن

الدين ليس منفصلاً عن العلوم الكونية والعلوم الإنسانية بل إن القرآن قد ربط في وضوح بين خشية العلماء لله والعلوم الطبيعية في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٧،٢٨]، فالعلماء هنا كما يبدو من السياق ليسوا هم العلماء الذين يقتصر علمهم على علوم الشريعة فقط بالرغم من فضلهم ومكانتهم وإنما هم الذين يعرفون بالإضافة إلى ذلك آيات الله في كونه وسنته في خلقه فيما ذكر من السماء والنبات والجبال والناس والدواب والأنعام وكلها من موضوعات العلوم الطبيعية والإنسانية فالعالم كلما ازداد علماً بها أدرك أن وراء هذا الكون وما فيه من دقة ونظام قدرة إلاهية عالية تحفظه وتحميه فيزداد خشية وخضوعاً لأحكامه واتباعاً لأوامره فبمقدار تعمق العالم في البحث تكون خشيته لله تعالى لأنه يرى من نواميس الكون والخلق المتقن ما يجعله يسجد لمبدع الكون .

٢٤- تعريفه بأن القرآن قدم العلم على الإيمان في قوله : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم:٥٦] كما قدم القرآن (العلم على الإيمان والإخبات) حين عطفها بعضها على بعض بحرف «الفاء» الذي يفيد الترتيب والتعقيب في قوله تعالى : ﴿وَلِيَعْلَمَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾[الحج:٥٤].

كما بين القرآن الكريم دور العلم في تحقيق الخشية والرجاء والطاعة في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[الزمر:٩] ولذلك فإن الذين تعبدوا بدون علم كالخوارج خرجوا بأسيافهم على المسلمين ولو طلبوا العلم وربطوه بالعبادة ما دلهم على ما فعلوا.

٢٥- على الوالدين أن يكون لهما دور إيجابي في سد ثغرات المنهج الدراسي ، وذلك بإعادة ترتيبه لتحديد الأولويات أي تقديم الأهم على المهم .

فأول ما ينبغي الاهتمام به: العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته فهو مقدم على كل علم فالله تعالى خلق الكون بسماواته وأرضه من أجل أن نعرفه تعالى ونعبده وقد جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [الطلاق:١٢] وقد استدل العلماء بهذه الآية على أفضلية علم التوحيد ولا يقصد به علم الكلام الجدلي الذي امتزج بفلسفة اليونان لأن ما فيه من مجادلات أبعد ما تكون عن لب التوحيد وعن تكوين جوهر الإيمان واليقين في حين أن المنهج القرآني يعرض قضية التوحيد من خلال مخاطبة العقل والعاطفة معاً ومن خلال عرض آيات الله في الآفاق وفي الأنفس معاً .

وثاني ما ينبغي تعلمه: العلم بالقرآن والعلم بالإيمان فهما أصل لكل خير في الدنيا والآخرة وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[الشورى:٥٢] وقوله تعالى في آيه النور: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾[النور:٣٥] أي نور الإيمان على نور القرآن .

وثالثاً ما ينبغي تعلمه: علوم الحياة الدنيا لإعمار الأرض وفق منهج الله تعالى .

أما النوع الرابع من العلوم: فهو مما يجب الإغراق فيه كعلم ما قبل التاريخ أو علم القرون الأولى التي ليس لدينا دليل صحيح عليها من الآثار والمخطوطات ونكل الأمر فيها إلى الله تعالى ولا نقف ما ليس لنا به علم ولا نقحم أنفسنا فيما ليس لنا فيه دليل وليسعنا ما وسع كليم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام في المحاورة التي تمت بينه وبين فرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ، قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ، قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ،قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾[طه: ٤٩-٥٢] . ويدخل أيضاً في دائرة العلوم التي لا يجب الإغراق فيها العلم بحقيقة الروح وفي هذا جاء قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء:٨٥]

كذلك يجب على الوالدين رعاية ولدهما للارتفاع بمستواه الثقافي في مرحلة ما قبل سن البلوغ والوسائل الآتية يمكن أن تحقق ذلك :

١-تشجيعه على المشاركة في عمل مكتبة للأسرة .

٢-حثه على زيارة معارض الكتب والشراء منها .

٣-تشجيعه على ارتياد المكتبات العامة والاستعارة منها حيث تنمو مهارة القراءة في حوالي سن الثامنة مما يتيح له فرصة اكتساب الكثير من المعلومات عن العالم من حوله .

٤-تعريفه بالإصدارات الجديدة من كتب السيرة والقصص الجيد وغير ذلك من الكتب التي تناسبه .

٥-مناقشته فيما يقرأ وتكليفه بالبحث عن إجابة سؤال معين ومكافأته على ما يحصله من معلومات جيدة .

٦-مناقشته في الأحداث الجارية وتعريفه بأن الإسلام يحض على ذلك في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم:٢] وفي هذا إشارة إلى أن الأحداث من حولنا تستوجب منا الرصد والاهتمام بمعرفة مراميها وآثارها كي نعد لها العدة .

٧-مناقشته في أحداث المكتشفات العلمية والتقنية وتشجيعه على الانفتاح على كل ثقافة نافعة فالحكمة ضالة المؤمن وتعريفه بأن الإسلام يطلق للعقل حريته من أجل الإبداع والاجتهاد في أمور الدنيا كما جاء في حديث تأبير (تلقيح) النخل لرسول الله ﷺ . وذلك بعكس مسائل العقيدة

فالأصل فيها الاتباع وليس الابتداع فقد جاء في رواية البخاري أن النبي ﷺ سمع أصواتاً فقال : « ما هذا الصوت قالوا : إن النخل يؤبرونها (أي يقلمونها) فقال : لو لم يفعلوا لصلح فلم يؤبرو عامئذ فصار شيصا، أي التمر الذي لا يشتد نواه) فكروا للنبي ﷺ فقال: إن كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به وإن كان من أمور دينكم فإلي» وفي رواية « أنتم أعلم بأمر دنياكم » (رواه مسلم) .

٨-الاهتمام بالبرنامج الثقافي الخاص بيوم الإجازة الأسبوعي وخروج الأسرة في رحلة أو نزهة في هذا اليوم لزيارة المتاحف والأماكن التاريخية والعلمية وغيرها وحثه على جمع العينات والنماذج والصور المتصلة بكل رحلة .

٩-تدريبه على الربط بين الموضوعات الثقافية النظرية وجوانبها العملية التطبيقية وتعريفه بأن الإسلام يهتم بكلا الجانبين: الجانب التعليمي النظري والجانب التعليمي العملي وفي قصة إبراهيم عليه السلام مثالاً لذلك حيث قام بتحطيم الأصنام ولم يقف عند مجرد شرح الحقيقة والتدليل على صحتها .

١٠- تدريبه على ربط موضوعات قراءته بقيم الإسلام وأخلاقه ، وتعريفه بأن المثقف والعالم في نظر الشريعة يعتبر جاهلاً إذا خالف القيم والدين.

١١- توفير القدوة العلمية الواعية عن طريق القيام بزيارة أحد المفكرين أو العلماء من حين إلى آخر .

١٢ - تعليمه لغة أوروبية أو لغة شرقية بحسب قدراته وتعريفه بقصة زيد بن ثابت رضي الله عنه الذي أمره النبي ﷺ بأن يتعلم اللغة العبرية واللغة السريانية حيث قال له : « إني والله لا آمن يهود على كتابي» قال زيد: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له (رواه الترمذي).

١٣ - تعليمه لغة الحاسب الآلي (الكمبيوتر) لأهمية ذلك في هذا العصر .

١٤ - تشجيعه على التحدث بالفصحى كلما أمكن ذلك .

١٥ - وفي سن التمييز (ما بين السابعة والعاشرة) تكثر الأسئلة المتصلة بالعلاقة بين الجنسين ويفضل أن تناقش هذه الأسئلة بين الصبي ووالده وبين الفتاة ووالدتها ليتوطد التقارب الوجداني بينهما ويساعد على نمو الرجولة لدى الصبي والأنوثة لدى البنت كما ينبغي أن نعلم الأبناء منذ سن التمييز آداب اللباس والاحتشام وستر العورة وآداب الاستئذان والسلام وغير ذلك مما يؤهله لاستقبال حياة البلوغ ومخاطرها وآدابها .

١٦ - فقد عرفنا نبينا محمد ﷺ أن سن العاشرة هو سن بداية تحريك الغريزة الجنسية ولذلك جعلها سن التفريق بين الأبناء في المضاجع وقد أثبتت بعض الدراسات المتخصصة أن للأولاد (بنين وبنات) قبل سن العاشرة رغبة جنسية تظهر في العبث بالأعضاء التناسلية ابتغاء الاستمتاع لذلك يجب الفصل بين البنين وبين البنات وبين البنين بعضهم البعض وبين البنات وبعضهن بعضاً في المضاجع وقد حدث في عهد الخليفة عمر بن

عبد العزيز أن كتب إليه عياض بن عبد الله قاضي مصر في صبي افترع صبية بإصبعه أي فض بكارتها وأنه قضى لها على الغلام بخمسين ديناراً وهذا يدل على أنهما كانا في خلوة وأن الصبي لم يقدر على الجماع لصغر سنه وأن الصبية لم تمانع لذلك يجب الحذر وحفظ الأولاد عن مثل هذا .

١٧ - تعليم الأبناء بعض آداب الإسلام المتصلة بالناحية الجنسية مثل :

- تنفيره من النوم على بطنه وتعريفه بحديث أبي هريرة : مر النبي ﷺ برجل مضطجع على بطنه فغمزه برجله وقال : «إن هذه ضجعة لا يحبها الله عز وجل» (أحمد) .

- تعليم الولد آداب الاستئذان وكيفية الدخول على الوالدين وقت النوم أو الراحة فالطفل الذي بلغ سن التمييز (أي حوالي سن السابعة) عليه أن يستأذن في أوقات ثلاث هي : (بعد صلاة العشاء وقبل طلوع الفجر ووقت القيلولة من الظهيرة) أما من وصل إلى سن البلوغ فعليه أن يستأذن في كل الأوقات .

- التعود على ستر العورة لقول النبي ﷺ : « لا تبرز فخذك ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت» (الحاكم في المستدرك) .

- احتشام النساء وبخاصة أمام المراهقين الذين تخطوا سن العاشرة وحتى المحارم كالأخوات والخالات والعمات وغيرهن من المحرمات

على التأييد فإنهن مأمورات بالاحتشام أيضاً أمام أطفال هذه السن فلا يظهرن أمامهم بالملابس الشفافة المظهرة للبشرة أو بالملابس الداخلية بل يؤمرن بالحشمة وعدم التكشف خاصة عند الحركة من قيام أو جلوس ولا بأس بأن يرتدين السراويل .

- تدريبه على آداب الزيارة والمحافظة على حرمات البيوت فلا يدخلها إلا بعد الاستئذان والسلام على أهلها وغض البصر وغير ذلك .

١٨ - ومن سن العاشرة يجب توعية الأبناء بأحكام البلوغ وغيرها من جوانب التربية الجنسية وعادةً ما يحرج الآباء من التحدث مع الأبناء في هذه الموضوعات بالرغم من أهميتها وللتغلب على هذه الحساسية نقدم للآباء عدة مداخل يمكنهم النفاذ منها إلى الحديث في موضوعات التربية الجنسية ومن هذه المداخل ما يلي :

المدخل العلمي :

وذلك بتعريفه الحقائق البيولوجية لتهيئته لاستقبال التغيرات الفسيولوجية التي يحدثها البلوغ كأن نقارن بين عملية الحمل والإنجاب عند الإنسان وما يشبهها عند الحيوان والنبات مستخدمين في ذلك الألفاظ العلمية والشرعية النظيفة كما فعل رسول الله ﷺ حينما سئل عن المرأة تحتلم في منامها فقال : «إذا رأت الماء فلتغتسل» وهناك موضوعات لا يجوز

الخوض فيها مع البنات إلا بواسطة الأم أو المعلمة مراعاةً للحياء الذي تظهر بوادره في هذه السن .

المدخل الفقهي :

مثل شرح موجبات الغسل (من حيض وجماع واحتلام ونفاس) فيتعلمون مثلاً أن الاحتلام من موجبات الغسل فإذا احتلم الولد (ذكر أو أنثي ورأى بللاً على ملابسه بعد الاستيقاظ وجب عليه الغسل سواء تذكر أنه احتلم أم لم يتذكر وعند تعليمه أحكام الاستنجاء أو الغسل نعلمه أسماء الأعضاء التناسلية المؤدبة الشرعية وليس أسماءها العامية القبيحة كأن نقول له : «اغسل ذكرك ـ اغسل قبلك ـ اغسل دبرك ـ اغسل موضع البول والغائط ..» وهكذا .

وبالمثل تهيئ الأم ابنتها لاستقبال العادة الشهرية كما تعلمها الأحكام الفقهية المتصلة بذلك كالامتناع عن الصلاة والصيام وقت العادة الشهرية وتعريفها أيضاً بأن غشاء البكارة غشاء رقيق لا يحتمل اللمس مما يوجب الحرص وغير ذلك من المعلومات الفقهية والبيولوجية الضرورية .

مدخل التفسير للآيات القرآنية :

مثل تفسير قوله تعالي : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فمن ابتغي وراء

ذلك فأولئك هم العادون﴾ [المؤمنون:٦] فنشرح لهم معنى الفروج وأن إحصانها يكون بالزواج أما من يستثير الغريزة عن غير طريق الزواج فيعد من العادين ونجعل ذلك مدخلاً إلى التحذير من جريمة اللواط والسحاق مستخدمين في ذلك الأسلوب القصصي الذي عبر به القرآن عن هذه الجريمة عند قوم لوط عليه السلام على أن يسود شرح معاني هذه الآيات روح الحب والصداقة بين الأب وولده وبين الأم وابنتها .

١٩- كما نعرف الصبي بأن إشباع الدافع الجنسي مرتبط بالزواج وأن الزواج متوقف على استقلاله الاقتصادي وتدريبه مهنياً منذ صغره ونمو روح المسئولية لديه ونسوق لهم القدوة في ذلك من رسول الله ﷺ الذي نشأ على الإباء وحب العمل والاعتماد على النفس وممارسة المسئولية حيث شارك عمه أبا طالب هموم العيش وطلب الرزق منذ سن الثامنة ونفعل مثل ذلك مع البنت لتهيئتها لمرحلة الزواج والإنجاب وما يجب عليها نحو زوجها وتربية أولادها.

٢٠- تعريف الآباء بأن فقهاء المسلمين اهتموا بالأحكام الخاصة بحماية الصبية المراهقين (من سن العاشرة حتى البلوغ) من التعرض للاعتداء الجنسي من أحد الشاذين فيما يعرف بجريمة اللواط وأنهم يسمون الصبي في هذه السن الطفل الأمرد ويتراوح عمره ما بين العاشرة والخامسة عشرة حيث يكون جسمه قد تهيأ للبلوغ وظهرت عليه بشائر

النضج البدني والجنسي مما قد يغري به الشواذ ومن الأحكام الفقهية الخاصة بهذه السن تحذير بعض علماء السلف من مجالسة الأمرد للكبار خشية الفتنة به (انظر ابن الجوزى).

وقول الإمام النووي في بعض فتاويه : (لا يمكن للعريف من أن ينعزل بصبي في مكان وحده بسبب التعلم بل يجلسوا جميعاً بحضرة الفقيه ولا يؤذن لصبيين يخرجان لقضاء الحاجة بل واحداً بعد واحد ولا ينبغي للمعلم أن يعلم البنت سورة يوسف ولا يمكن الصبي من طلوع المئذنة مع رجل واحد حيث يحرم الخلوة بالأمرد كما تحرم الخلوة بالمرأة الأجنبية سواء خلا به منسوب إلى صلاح أو غيره).

وقال النووي أيضاً : (النظر إلى الأمرد الحسن حرام سواء كان بشهوة أو غيرها إلا إذا كان له حاجة شرعية كحاجة الشراء أو التطبيب أو التعليم فيباح حينئذ قدر الحاجة وتحرم الزيادة قال تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور:٣٠] وأورد ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس ص ٢٦٤ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (ما أنا أخاف على عالم من سبع ضار بأخوف عليه من غلام أمرد) (كتاب سلوه الأحزان) .

لكل هذا يجب على الوالدين حماية ولدهما في هذه السن البريئة من تحرشات ضعاف النفوس وقد أشارت الإحصاءات بأمريكا إلى أن أكثر

الاعتداءات الجنسية على الأطفال تقع من أفراد معروفين للطفل كالمعلم وطبيب العائلة ورئيس المخيم فعلى الأب ألا يترك ابنه للخلوة بمثل هؤلاء وقد يحدث الاعتداء من طفل أكبر منه سناً لأن بعض الأطفال ينضجون جنسياً في سن مبكرة كما أنه يمكن أن تقام علاقات جنسية بشكل ما بين الأولاد قبل البلوغ لذلك فإن اختيار الأب لأصدقاء ولده من ذوي الخلق والدين ممن هم في سنه شيء مهم هذا بالإضافة إلى إحكام الرقابة على الولد بشكل غير مباشر والحيلولة دون اختلائه بأحد الأقران خشية أن يكون سيئاً إلا أن يكونوا ثلاثة على الأقل فالشيطان أقرب إلى الاثنين منه إلى الثلاثة وإن كانوا أربعة فهو الأفضل لقول الرسول ﷺ: «خير الصحابة أربعة... » (رواه أبو داود) وقد نهى النبي ﷺ عن سير الاثنين في السفر ونحوه فقال: «الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب» (رواه الحاكم).

٢١- تنمية الوعي السياسي والإحساس بأحوال الشعوب وبخاصة شعوب العالم الإسلامي المعاصرة والحركة الإسلامية المعاصرة وعلى أن يكون ذلك بأسلوب سهل مع ضرب الأمثلة المحسوسة كلما أمكن ذلك فمثلاً عند شرح مصطلح «البراجماتية» الذي تسير وفقه السياسة الأمريكية لا يكفي أن نقول بأن البراجماتية معناها المنفعة بل نسوق مثالاً واقعياً لذلك كمشروع الصرف الصحي بمدينة الإسكندرية والذي تم بواسطة

قرض أمريكي مشروط بأن يتم صرف المجارى في البحر وليس في الصحراء مما أدى إلى تلوث الشاطئ وبالتالي هرب السياح إلى شواطئ أمريكا وحلفائها هذا فضلاً عن زيادة مبيعات الشركات الأمريكية للأدوية في بلادنا لعلاج الأمراض التي استحدثها المشروع وفضلاً عن حرماننا من زراعة الصحراء بواسطة مياه الصرف الصحي بعد معالجتها واضطرارنا لاستيراد الغذاء من أمريكا وغير ذلك من المنافع التي عادت على أمريكا من وراء هذه المعونة المشروطة.

٢٢- التعجيل بتعليم الولد مبادئ المهن والحرف اليدوية في مرحلة الطفولة المتأخرة حيث يكون الولد ميلاً إلى الحركة والنشاط وأكثر استعداداً لتقليد الآخرين في أعمالهم المهنية والفنية وأكثر استغراقاً في أدائها والإقبال عليها دون تعب أو ملل كما تكون حاسة اللمس قد بلغت أشدها وتكون اتجاهات الولد وقدراته المهنية قد بدأت في الظهور والتنوع وتحتاج من الآباء إلى الرصد والتوجيه وإتاحة فرص التدريب .